النهي عن الغلو في المديح- دراسة تأصيلية تطبيقية

د. محمد بن فهد الفريحي*

سلم البحث في ٣/٥/١٤٤٠هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ٩/٦/١٤٤٠هـ

ملخص البحث:

موضوع هذا البحث هو: النهي عن الغلو في المديح دراسة تأصيلية تطبيقية؛ حيث سعى هذا البحث إلى إبراز موقف الإسلام من المديح بوجه عام ومن الغلو في المديح بشكل خاص، مع بيان الحكمة من النهي عن الغلو في المديح، وذكر تطبيقات معاصرة للغلو في مديح الحكام والعلماء. ومن أبرز النتائج التي توصل لها البحث: أن من الألفاظ ذات الصلة بالمدح: الإطراء، والتمجيد، والحمد، والشكر، ومن النتائج: أن الأصل في المدح هو الإباحة وبعض العلماء يرى استحبابه لورود العديد من النصوص الشرعية في ذلك. وقد يمنع من المدح وينهى عنه ولو كان حقاً وصدقاً؛ لأسباب منها: دخول العجب والغرور على نفس الممدوح لاسيما إذا كان معروفاً بهذا السلوك والطبع. والغلو في المديح لا يجوز ولا يشرع أصلا في الإسلام، لأنه داخل في عموم الكذب ومنافاة الصدق والعدل، ومن نتائج هذا البحث: أن ولاة أمر هذا البلد –ولله الحمد– قد قطعوا الطريق على الغالي في ذكر الممادح؛ وقد ذكرنا نموذجاً للملك سلمان، صريح وواضح في النهي عن الغلو في مدحه والتأكيد على أن هذا الفعل مشين ومنكر ولا بد من أن يعاقب كل من يرتكبه.

الكلمات المفتاحية: نهي، منكر، مدح، مديح، غلو، معروف.

Abstract:

The purpose of this research is to: ban on exaggeration in praising the study of applied originality; this research sought to highlight the position of Islam in general praise and exaggeration in praise in particular, with the wisdom of forbidding exaggeration in praise, And scientists. The most important results of the research: that the words related to praise: praise, praise, praise, thanksgiving, and the results: The origin in the praise is permissibility and some scientists see it is desirable to see many of the legitimate texts in it. It may be prohibited from praising and forbidding it even if it is true and true, for reasons including: Entering wonder and vanity on the same Almmdouh, especially if known for this behavior and print. And the exaggeration in praising is not permissible and does not legislate originally in Islam, because it is within the whole of lies and the virtues of

* الأستاذ المساعد بقسم الحسبة والرقابة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

truth and justice. The results of this research: that the rulers of this country - praise be to Allah - have cut the way to the expensive mention of Almmadh; we have mentioned a model of King Salman, It is clear in the prohibition of exaggeration in praise and emphasize that this act is shameful and evil and must punish all those who commit it.
Keywords: Nihi, Munkar, praise, praise, exaggeration, unknown.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران: ١٠٢) ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ (النساء:١)، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ (الأحزاب: ٧٠- ٧١) أما بعد:

فقد نالت هذه الأمة المباركة: الخيرية من بين الأمم لقيامها بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ (آل عمران: ١١٠).

وأوجب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ القيام بهذه الشعيرة قدر المستطاع، وأن ذلك داخل في باب قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ (التغابن: ١٦)، حيث روى أبو سعيد الْخُدْرِي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)[١].

ولما كان الناس بطبعهم يرغبون بمشاهدة وسماع كل ما هو جميل وحسن، كذلك فإنهم يرغبون سماع ذلك عنهم؛ وقد جاء في الحديث (لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ)[٢]. لكن البعض قد يغلو في ذكر المحامد والممادح في غير جنب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيكون قد وقع في المحذور والمنكر.

وبعض العلماء يزّهد في المدح بوجه عام، وفي ذلك يقول ابن القيم:" أعلم أنه متى استقرت قدم العبد في منزلة الإخبات وتمكن فيها: ارتفعت همته، وعلت نفسه عن خطفات المدح والذم؛ فلا يفرح بمدح الناس، ولا يحزن لذمهم وهذا وصف من خرج عن حظ نفسه وتأهل للفناء في عبودية ربه"[٣]. ويقول في موضع آخر: "لا يجتمع

الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فاقبل على الطمع أولاً فأذبحه بسكين اليأس وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة"[٤]. ولعل مقصوده هنا هو المدح على الأعمال الصالحة التي لم تقم على أساس متين وهو الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

وقد أمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالإنكار على الغالي في ذكر الممادح فقال: (إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِى وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ)[٥].

لذلك جاء هذا البحث ساعياً إلى إبراز النصوص الشرعية التي تنهى عن الغلو في المديح والحكمة منه، وذكر نماذج معاصرة على مسألة الإنكار على الغلو في المديح، وبالله عَزَّوَجَلَّ التوفيق.

تساؤلات البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة على التساؤلات التالية:

١. ما موقف الإسلام من المديح؟

٢. ما النصوص التي تنهى عن الغلو في المديح في الكتاب والسنة؟

٣. ما الحكمة من النهي عن الغلو في المديح؟

٤. ما تطبيقات النهي عن الغلو في المديح في الوقت الحاضر؟

البحوث السابقة:

وجد الباحث بعض البحوث التي لها صلة غير مباشرة بالموضوع، ومن ذلك:

أ. الرسائل العلمية:

أولاً: المدح في السنة النبوية – دراسة موضوعية: هدف هذا البحث إلى جمع الأحاديث المتصلة بموضوع المدح، ودراستها دراسة موضوعية تحليلية شاملة، وخلص البحث إلى عدد من النتائج؛ منها: أهمية المدح في الحياة الإنسانية، لما له من آثار طيبة في تقويم سلوك الفرد.

كما أظهرت **نتائج البحث:** أن النبيصَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان مطلعاً على جميع أحوال صحابته، وأظهرت النتائج أن المدح يجوز في مواضع، ولا يجوز في مواضع أخرى[٦].

ثانياً: المدح والثناء– دراسة قرآنية موضوعية: لم يذكر الباحث هدفاً مكتوباً لهذا البحث، ولا منهجاً علمياً متبعاً في ذلك.

وقد ذكر الباحث أن المدح والثناء في القرآن الكريم له عدة نماذج؛ منها: ثناء الله عَزَّوَجَلَّ على نفسه، وعلى ملائكته، وعلى كتبه، وعلى عباده المؤمنين الطائعين العابدين كامرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وأبو بكر الصديق. كما ذكر من النماذج: ثناء الله عَزَّوَجَلَّ على أولي العزم من الرسل، وثناء الناس بعضهم على بعضهم؛ كثناء صاحبي يوسف في السجن، وثناء النسوة على يوسف، وثناء امرأة العزيز على يوسف، وكذلك ثناء ابنة شعيب على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وختم الباحث بحثه **ببيان ثمرات الثناء** في الدنيا والآخرة ومنها: الشعور بفضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ودوام شكره، ونزع الغل من صدور المؤمنين، ونيل ثناء الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ[٧].

ثالثاً: أسلوب المدح والذم في الأحاديث النبوية الشريفة (صحيح البخاري أنموذجاً)– دراسة نحوية دلالية تواصلية: استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي في رصد أنماط المدح والذم في الحديث النبوي الشريف، من خلال صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وخلص البحث إلى **عدد من النتائج أبرزها:** أسلوب المدح والذم كان له ظهور في الحديث النبوي، وأدى إلى أغراض دلالية وتواصلية عدة؛ منها: الديني، والاجتماعي، والنفسي، وأظهرت نتائج البحث أن الاتصال والتواصل كان مقصوداً لذاته في الحديث النبوي، والذي كان لأسلوب المدح والذم أثر في تفعيله[٨].

ب.الأبحاث العلمية:

أولاً: أساليب المدح والذم في القرآن الكريم: ذكر الباحث أن أساليب المدح والذم تتكرر في الكتاب العزيز على اختلاف في صورها؛ حيث يأتي المدح بأسلوب (نِعْمَ)، ويأتي الذم بأسلوب (بِئْسَ). وهناك أفعال تجري مجراهما وتلحق بهما لغرض المدح والذم. وبين الباحث أن لكل أسلوب خصائصه المميزة له في لغة العرب لغرض ما، ولما كانت أساليب المدح والذم تأتي في سياق المبالغة كان لها سمات معينة يعرف بها كل أسلوب من أساليبها[٩].

ثانياً: المدح والذم في القرآن الكريم: بيّن الباحث أن اللغة العربية اشتملت على كثير من الألفاظ والأساليب التي تدل على المدح والذم وبعضها لا يؤدي إلى ذلك إلا مع وجود قرينة تساعد على فهم المراد كالاستفهام، والتعجب، والنفي.

وقد قام البحث على عرض الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه الألفاظ، بعد

ذكر القواعد النحوية المختصة بها ثم مطابقة هذه القواعد على الآيات القرآنية وإيضاح أوجه الموافقة والمخالفة بينها(١٠).

ثالثاً: تأكيد المدح والذم بما يشبه ضدهما في القرآن الكريم-دراسة تحليلية بلاغية:

تناول البحث الأسلوب البديعي تأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح في القرآن الكريم؛ وهدف إلى إبراز الوظيفة الدلالية في الصياغة القرآنية.

وتناول البحث هذا الموضوع من جانبين: نظري وتطبيقي، فأما الجانب النظري فقد اشتمل على عرض مختصر لمفهوم تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه عند البلاغيين، وأما الجانب التطبيقي فدرس الباحث فيه الأسلوبين وعرض أمثلة لهما(١١).

منهج الباحث في كتابة البحث:

١. قام الباحث بكتابة الآيات القرآنية من خلال إحدى المصاحف المطبوعة عن طريق الحاسب الآلي، وتم تخريج الآية في المتن بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. قام الباحث بكتابة الحديث النبوي مضبوطاً بالشكل، وبخط مثقل، ومحصوراً بين قوسين ( ).

٣. سلك الباحث في تخريج الأحاديث النبوية ما يلي: ما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفى به؛ لأن الأمة تلقت هذين الكتابين بالقبول، وإن كان في غيرهما فإن الباحث اجتهد في بيان درجته من خلال قول أحد أهل العلم المعتبرين في هذا المجال.

٤. قد يكرر الباحث الدليل أو المعلومة أكثر من مرة، للحاجة إلى ذكرها في موضع آخر.

٥. عند ذكر بيانات المرجع في الحاشية لأول مرة، فإن الباحث يذكر اسم المرجع، اسم المؤلف، اسم المحقق ونحوه إن وجد، الصفحة والجزء، اسم الناشر، مدينة النشر، رقم الطبعة، تاريخ الطباعة. أما إن ذكر المرجع للمرة الثانية فإن الباحث يكتفي بذكر اسم المرجع، واسم المؤلف، ورقم الصفحة أو رقم الصفحة والجزء فقط. وقد يخالف الباحث هذا المنهج في المراجع التي قد لا ينطبق عليها ما ذكر؛ كالرسائل العلمية، والمجلات العلمية وغيرها.

٦. عند ذكر المعلومات من موقع إلكتروني فإن الباحث يذكر الرابط الإلكتروني المباشر لهذه المعلومة في الحاشية، وكذلك في صفحة المراجع.

تقسيمات البحث:

المقدمة: وتشمل: مقدمة البحث. تساؤلات البحث. البحوث السابقة. منهج الباحث في كتابة البحث. تقسيمات البحث.

المطلب التمهيدي: التعريف بمصطلحات البحث، والألفاظ ذات الصلة.

الفرع الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

الفرع الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

المطلب الأول: موقف الإسلام من المديح.

الفرع الأول: المديح في القرآن الكريم.

الفرع الثاني: المديح في السنة النبوية.

المطلب الثاني: النهي عن الغلو في المديح في الكتاب والسنة.

الفرع الأول: النهي في القرآن الكريم.

الفرع الثاني: النهي في السنة النبوية.

المطلب الثالث: الحكمة من النهي عن الغلو في المديح.

المطلب الرابع: تطبيقات النهي عن الغلو في المديح في العصر الحاضر.

الفرع الأول: الغلو في مديح الحكام.

الفرع الثاني: الغلو في مديح العلماء.

المطلب التمهيدي
التعريف بمصطلحات البحث والألفاظ ذات الصلة
الفرع الأول: التعريف بمصطلحات البحث

النهي في اللغة: النَّهْيُ ضد الأمر، وانْتَهَى عنه وتَنَاهَى؛ أي كفَّ. وتَنَاهَوْا عن المنكر؛ أي: نهى بعضهم بعضاً[١٢].

النهي عند الأصوليين: هو اقتضاء كف على جهة الاستعلاء[١٣].

الغلو في اللغة: يقال: غلا في الأمر يغلو غلواً؛ بمعنى أنه جاوز الحد فيه[١٤].

الغلو في الشرع: هو:"مجاوزة الحد؛ بأن يزاد في الشي في حمده أو ذمه"[١٥].

المدح في اللغة: ذكر ابن فارس أن الميم والدال والحاء أصل صحيح يدل على وصف المحاسن بكلام جميل[١٦]. والمدح نقيض الهجاء[١٧]، ويقال: مَدَحَه مَدْحاً ومِدْحَةً؛ أي أحسن الثناء عليه كمَدَّحه وامْتَدَحَه وتَمَدَّحَهُ. والمديحُ والمِدْحَةُ والأُمْدُوحَةُ: ما يُمْدَحُ به، وجمعها مدائحُ وأماديح[١٨].

المدح عند العلماء: هو الثناء على الإنسان بجميل الصفات في حضرته أو غيبته[١٩]. وقيل: حقيقة المدح هو الخبر الذي يتضمن فرح الممدوح ولذته[٢٠].

الفرع الثاني: الألفاظ ذات الصلة

للمدح عدة ألفاظ تتصل به وقد تؤدي إلى المعنى ذاته في بعض الأحيان ومن ذلك:

- **الإطراء:** وهو الثناء؛ يقال: وأطراه أي بالغ في مدحه[٢١]. ويذكر ابن منظور أن الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه؛ لحديث (لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) [٢٢] [٢٣].

- **الثناء:** وهو اسم، ولذلك يقال: أثنى عليه خيراً[٢٤]. والثناء للشي هو فعل ما يشعر بتعظيمه[٢٥].

- **التمجيد:** يقال: مَجَدَ، مَجْداً ومَجادة؛ فهو ماجِدٌ ومَجِيدً. وأمْجدَهَ: عظمه، وأثنى عليه[٢٦].

- **الحمد:** وهو نقيض الذم، يقال: حَمْدتهُ على فعله، ومنه المحمدة خلاف المذمة. والحمد يكون عن يد –يعني: بسبب إسداء معروف للحامد– وعن غير يد، والشكر لا يكون إلا عن يد[٢٧]. وهناك من يقسمه إلى خمسة أقسام: حمد حالي، وحمد عرفي، وحمد فعلي، وحمد قولي، وحمد لغوي[٢٨].

- **الشكر:** هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف[٢٩].

- **التزكية:** ذكر ابن فارس أن التزكية أصل يدل على النماء والزيادة[٣٠]، وهي من المعاني المعروفة لغة، وشرعاً، وعرفاً بأنها من مواضع المدح والمديح.

المطلب الأول
موقف الإسلام من المديح
الفرع الأول: المديح في القرآن الكريم

جاءت في القرآن الكريم العديد من نصوص الثناء والمدح شملت جميع المخلوقات، من الإنس والجن والحيوان بل حتى الجمادات. ومن هذه النصوص على سبيل الإشارة لا الحصر قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ (الأنعام: ٩٠) وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في بيان صفات سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٤)، وقال عَزَّوَجَلَّ في الثناء على ملائكته الكرام ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٦) وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في

الثناء على رسولنا الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصحابته البررة: ﴿ مُحَمَّد رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُود﴾ (الفتح:٢٩). وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ على لسان نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما كان هو وأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الغار: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في هذه الآية:" والمقصود هنا أن قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن الله معنا؛ هي معية الاختصاص التي تدل على أنه معهم بالنصر والتأييد والإعانة على عدوهم فيكون النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أخبر أن الله ينصرني وينصرك يا أبا بكر على عدونا ويعيننا عليهم، ومعلوم أن نصر الله نصر إكرام ومحبة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (غافر: ٥١). وهذا غاية المدح لأبي بكر إذ دل على أنه ممن شهد له الرسول بالإيمان"[٣١].

وقال عَزَّوَجَلَّ عن الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا(٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا(٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا(٤)﴾ (الجن). وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في عموم مخلوقاته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤).

كما جاء في القرآن ما يدل على جواز أن يمدح الإنسان نفسه ويثني عليها فقد قال عَزَّوَجَلَّ على لسان سيدنا يوسف :عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٥٥). وقد ذكر الطبري رَحِمَهُٱللَّهُ أن يوسف عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، سأل الملك أن يولّيه أمر طعام بلده وخراجها، والقيام على ذلك، فأجابه الملك لطلبه.

والمراد بقوله (حفيظ عليم) يعني: "إني حافظ لما استودعتني، عالم بما أوليتني"، لأن ذلك عقيب قوله: (اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ)[٣٢].

وذكر القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ أن في الآية السابقة مسائل منها: أن الآية دلت على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل؛ قال الماوردي رَحِمَهُٱللَّهُ: وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، وممنوع منه فيما سواه، لما فيه من التزكية والمراءاة[٣٣].

ومن الآيات أيضا: قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى:١١).

وقد ذكر القرطبي في تأويلها عدة أقوال؛ منها: أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء. والتحدث بنعم الله، والاعتراف بها شكر. وقيل: أي بلغ ما أرسلت به أيها النبي. وعن الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: "إذا أصبت خيراً، أو عملت خيراً، فحدث به الثقة من إخوانك"(٣٤).

وذكر ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي: وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك اللهعَزَّوَجَلَّ، فحدث بنعمته عليك، كما جاء في الدعاء النبوي: (وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا قَابِلِيهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا) (٣٥).

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله! ذهب الأنصار بالأجر كله. قال: (لاَ مَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ) (٣٦) (٣٧).

وذكر الشنقيطي رَحِمَهُٱللَّهُ في هذه الآية ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أن: النعمة كل ما أنعم الله عَزَّوَجَلَّ به على العبد؛ من: مال، وعافية، وهداية، ونصرة من النعومة واللين، والمراد ذكر ما سبق وشكرها شكراً عملياً من إيواء اليتيم كما آواه الله عَزَّوَجَلَّ، وإعطاء السائل كما أغناه الله عَزَّوَجَلَّ، وتعليم المسترشد كما علمه الله عَزَّوَجَلَّ، فتنعم أنت على غيرك؛ تأسيا بفعل اللهعَزَّوَجَلَّ معك(٣٨). وكثير مما قد يحدّث المرء به عن نفسه هو داخل في المدح لذاته ونفسه.

الفرع الثاني: المديح في السنة النبوية

حفلت السنة النبوية هي الأخرى بالعديد من المواقف التي فيها مدح من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأصحابه ولغيرهم، ومن ذلك(٣٩):

ما جاء في الحديث في بيان حرمة إطالة الأزر عن الكعبين؛ حيث قال أبو بكر لما سمع ذلك: يا رسول الله! إن إزاري يسقط من أحد شقيه، فقال الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ)(٤٠).

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مرضه الذي مات فيه: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا) (٤١).

ولما صعد النبيصَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ رَجِفَ أحد؛ فقالصَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ

وَشَهِيدَانِ) (٤٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حق سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :(بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ؛ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا) (٤٣).

ولما خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من مكة تنفيذاً لبنود صلح الحديبية تبعتهم ابنة حمزة قائلة: يا عم! يا عم! فتناولها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ بيدها، وقال لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دونك ابنة عمك حملتها؛ فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال علي: أنا أحق بها، وهي ابنة عمي. وقال جعفر: ابنة عمي، وخالتها تحتي. وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخالتها، وقال: (الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ)، وقال لعلي: (أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ)، وقال لجعفر: (أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي)، وقال لزيد: (أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا) (٤٤).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشج عبد القيس: (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ) (٤٥).

وبعد ذلك يتبين مشروعية المدح في الإسلام بوجه عام إلا أنه قد يمنع منه في بعض الحالات؛ وهذه الحالات ليست ضمن الإطار العام والمقصود منه في هذا البحث، وهو "الغلو في المديح" لذلك سأسوق بعض أقوال العلماء في ذلك؛ ومنها:

قال ابن العربي: "مدح النفس إنما نهي عنه لما يدخل عليها من العجب بها، والتكثر على الخلق من أجلها، فاقتضى ذلك الاختصاص بمن يلحقه التغيّر، ولا يجوز منه التكثر، وهو المخلوق، ووجب ذلك للخالق؛ لأنه أهل الحمد"(٤٦). فابن العربي يرى أن الذي لا يلحقه تغيّر بعجب ونحوه فلا بأس بمدح نفسه.

ويقول النووي: "قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث –أي: أحاديث المشروعية وأحاديث النهي– أن يقال: إن كان الممدوح عنده كمال إيمانٍ ويقينٍ ورياضةِ نفسٍ ومعرفةٍ تامة، بحيث لا يُفتتن ولا يُغترَ بذلك، ولا تلعب به نفسه فليس بحرامٍ ولا مكروه، وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كره مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفصيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك"(٤٧).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح: "وقد ضبط العلماء المبالغة الجائزة من المبالغة الممنوعة؛ بأن الجائزة يصحبها شرط أو تقريب، والممنوعة بخلافها"(٤٨).

وما ذكره ابن حجره بقوله: "المبالغة الممنوعة" هو ما يتناوله هذا البحث.

وقال ابن حجر في موضع آخر حول حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ)**:" وهذا من جملة المدح؛ لكنه لما كان صدقاً محضاً، وكان الممدوح يؤمن معه الإعجاب والكبر مدح به ولا يدخل ذلك في المنع" [٤٩].

ويرى ابن عثيمين أن للمدح أربعة حالات، وما يعنينا هنا هي الحالة الرابعة، حيث ذكر فيها أن يمدح الشخص بما هو فيه لكن يخشى أن هذا الممدوح يغتر بنفسه، ويزهو، ويترفع على غيره ففي هذه الحالة المدح محرم لا يجوز [٥٠].

المطلب الثاني
النهي عن الغلو في المديح في الكتاب والسنة
الفرع الأول: النهي في القرآن الكريم
أولاً/ النهي عن الغلو في مديح الإنسان لنفسه.

ذكرنا سابقا مشروعية المدح في الإسلام، إلا أن هذا المديح قد يشوبه ما يشوبه، و يتجاوز به الحد؛ فيصبح محرماً منهياً عنه في الشريعة الإسلامية، وقد جاء النهي عن ذلك في محكم التنزيل، قال عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ (النجم:٣٢). فقد ذكر ابن كثير في تفسيره حول هذه الآية أن ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ كما قال ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (النساء:٤٩).

وجاء في الصحيح عن محمد بن عمرو بن عطاء، قال: سميت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول اللهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن هذا الاسم، وَسُمِّيت برة، فقال رسول اللهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمُ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ). فقالوا: بم نسميها ؟ قال: (سَمُّوهَا زَيْنَبَ)[٥١] [٥٢]. وقال :عَزَّوَجَلَّ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران:١٨٨).

ذكر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ من طريق عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول اللهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا إذا خرج رسول اللهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الغزو تخلّفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول اللهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية. وقيل أنها نزلت في: فنحاص وأشيع وغيرهما من الأحبار الذين يفرحون بإضلال الناس، وبنسبة الناس إياهم إلى العلم وليسوا بأهل العلم. وقال سعيد بن

جبير: هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم، وهم برآء من ذلك[٥٣].

وذكر ابن كثير أن المراد في هذه الآية هم المرائين المتكثرين بما لم يعطوا، كما جاء في الحديث: (من ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلاَّ قِلَّةً)[٥٤][٥٥].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء:٤٩). ذكر الطبري في تفسير هذه الآية: أي ألم تر يا محمد بقلبك؟ الذين يزكون أنفسهم من اليهود فيبرِّئونها من الذنوب ويطهرونها! حيث كانت يهود تقول: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة:١٨)، وقيل لأنهم كانوا يقولون: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة:١١١) وقيل لأنهم كانوا يقولون: " ليست لنا ذنوب إلا كذنوب أولادنا يوم يولدون! فإن كانت لهم ذنوب فإنّ لنا ذنوبًا! فإنما نحن مثلهم!"؛ فقال عَزَّوَجَلَّ:﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾(النساء:٥٠) [٥٦].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" ومعنى التزكية: التطهير والتنزيه، فلا يبعد صدقها على جميع هذه التفاسير وعلى غيرها، واللفظ يتناول كل من زكى نفسه بحق أو بباطل من اليهود وغيرهم، ويدخل في هذا التلقب بالألقاب المتضمنة للتزكية، كمحيي الدين، وعز الدين، ونحوهما" [٥٧].

ثانياً: النهي عن الغلو في مديح الإنسان لغيره.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء:١٧١).

ذكر ابن كثير أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نهى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهو كثير في النصارى، لأنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادّعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، صحيحاً كان أو كذباً؛ ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١) [٥٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ

انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤).

ذكر الشوكاني في هذه الآية أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما أصيب في يوم أُحد صاح الشيطان قائلاً: قد قتل محمد، ففشل بعض المسلمين، حتى قال قائل: قد أصيب محمد، فأعطوا بأيديكم، فإنما هم إخوانكم، وقال آخر: لو كان رسولاً ما قتل، فردّ اللهتَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عليهم ذلك، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، وسيخلو كمن قبله من الرسلعَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، فقوله:﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ صفة لرسول؛ والقصر قصر إفراد، كأنهم استبعدوا هلاكه، فأثبتوا له صفتين: الرسالة، وكونه لا يهلك، فردّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عليهم ذلك بأنه رسول لا يتجاوز ذلك إلى صفة عدم الهلاك.

ثم أنكر اللهعَزَّوَجَلَّ عليهم بقوله: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: كيف ترتدّون، وتتركون دينه إذا مات، أو قتل مع علمكم أن الرسل تخلو، ويتمسك أتباعهم بدينهم، وإن فقدوا بموت، أو قتل. وقيل: الإنكار لجعلهم خلوّ الرسل قبله سبباً لانقلابهم بموته، أو قتله، وإنما ذكر القتل مع علمهتَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنه لا يقتل؛ لكونه مجوّزاً عند المخاطبين(٥٩).

الفرع الثاني: النهي في السنة النبوية

أولاً: النهي عن الغلو في مديح الإنسان لنفسه.

ذكرنا سابقاً أن السنة النبوية حافلة بالمواقف التي مدح فيها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصحابه من باب بيان مشروعية المدح في الإسلام، أما هنا فسوف نستعرض النصوص النبوية التي تنهى عن المدح وهو ما أسميته الغلو في المديح وأبدؤها بالغلو في مديح الإنسان لنفسه فعن أسماء رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن امرأةً قالت: يا رسول الله! إن لي ضرة، فهل علي جناح إن تَشَبَّعْتُ من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ)(٦٠).

ذكر الخطابيرَحِمَهُٱللَّهُ في شرح هذا الحديث أن العرب تسمي امرأة الرجل جارته، وتدعو الزوجتين الضرتين: جارتين، ومن هذا قول الأعشى لامرأته: أجارتنا بيني فإنك طالقة، ومن هذا النحو قول امرىء القيس:

أجارتنا إنّا غريبان ههُنا... وكلُ غريب للغريبِ نسيبُ

وقوله (كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ) يتأول على وجهين، أحدهما: أن الثوبين ههنا كأنه

كناية عن حاله ومذهبه، وقد تكني العرب بالثوب عن حال لابسه وعن مذهبه؛ كقول الشاعر: وإني بحمد اللهِ لا ثوب غادرٍ... لبستُ ولا من ريبةٍ أتقنعُ

والمعنى أن المتشبع بما لم يعط بمنزلة الكاذب. والوجه الآخر: أنه يكون في الحي الرجل له هيئة ونبل فإذا احتيج إلى شهادة زور شهد بها فلا يرد من أجل نبله وحسن ثوبيه فأضيفت الشهادة إلى ثوبيه إذ كانا سبب جوازها ورواجها[٦١].

وذكر ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن المتشبع بما لم يعط، هو المتزين بأكثر مما عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل، كالمرأة تكون للرجل ولها ضرة، فتتشبع بما تدعيه من الحظوة عند زوجها بأكثر مما عنده لها تريد[٦٢]. وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما حكم التثنية في قوله (كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ) فللإشارة إلى أن كذب المتحلي مثنى؛ لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ وعلى غيره بما لم يعط وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه ويظلم المشهود عليه"[٦٣]. ويستخلص القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فائدة الحديث بأنها: الزجرُ عن الرياءِ وتعاطيه، ولو كان بأمورِ الدنيا[٦٤]. ويذكر ابن الجوزي من أوجه تفسير هذا الحديث أن المراد بالثياب: الأنفس، والعرب تفعل ذلك كثيراً، تقول: فلان نقي الثياب؛ إذا كان بريئاً من الدنس والآثام وضده فلان دنس الثياب، قال امرؤ القيس:

ثيابُ بني عوف طهارى نقية... وأوجههمْ بيض المسافر غران[٦٥].

ثانياً: النهي عن الغلو في مديح الإنسان لغيره.

والنصوص النبوية التي تنهى عن الغلو في مديح الإنسان لغيره كثيرة منها ما رواه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول على المنبر:" سَمِعْتُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)[٦٦].

بيّن الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الحديث يحمل على المبالغة في مدحه، وذلك أن المبالغة في مدحه تقترن عادةً بالكذب والغلوّ في الدين، وهذا أمر محرّمٌ. والمراد –كما يراه الألباني–: لا تمدحوني مطلقاً، وهو من معاني الإطراء لغة، وهو وإن كان جائزاً في الأصل، فإنه قد يُنهى عن مثله من باب سدّ الذريعة، كما هو معلوم من علم الأصول، فإن فتح باب المدح قد يؤدي إلى مخالفة الشرع كما هو مشاهدٌ في الواقع، إما جهلاً وإما غلوّاً! فنهيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته عن مدحه –بما هو جائز أصلاً خشية وقوع المادح فيما لا يجوز– لاشكّ أنه من تواضعه كما تدلّ عليه سائر الأحاديث في ذلك، بخلاف حمل النهي على المدح المحرم، وهذا بيّن لا يخفى إن شاء الله.

ويؤيده قوله في آخر الحديث: (فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ) كأنه خرج مخرج الجواب عن سؤال مقدّر: فما تقول في مدحك يا رسول الله؟ فقال: (فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) أي: قولوا ما لا شكّ فيه شرعاً مما أنا متصف به ولا تزيدوا عليه [٦٧].

ومثل ذلك: ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلاَ يَسْتَفِزَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) [٦٨].

وسئل ابن عثيمين عن القصائد التي فيها مدح للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستحق لكل مدحٍ وتعظيمٍ يليق به علي أنه نبي مرسل من الله عَزَّوَجَلَّ وهو خاتم النبيين وآخر المرسلين وسيد الخلق أجمعين، فهو مستحق لكل ما يقال من وصف يليق به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء قيل ذلك نظماً أم نثراً؛ ولكن القصائد التي تخرجه عما ينبغي أن يكون له من الغلو المفرط الزائد الذي نعلم أنه هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرهه ولا يرضاه كما نهى عن ذلك فإننا نرى أنه لا يجوز لإنسان أن يتلوها أو يعتقد ما فيها من هذا الغلو [٦٩].

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يثني على رجلٍ وَيُطْرِيهِ في المدحة؛ فقال: (أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ) [٧٠].

ويوضح ابن حجر ما بوبه البخاري للحديث السابق بقوله: (باب ما يكره من التمادح) هو تفاعل من المدح أي المبالغ، والتمدح التكلف والممادحة، أي مدح كل من الشخصين الآخر، وكأنه ترجم ببعض ما يدل عليه الخبر لأنه أعم من أن يكون من الجانبين أو من جانب واحد، ويحتمل أن لا يريد حمل التفاعل فيه على ظاهره، وقد ترجم له في الشهادات (ما يكره من الإطناب في المدح). وقوله: (وَيُطْرِيه) من الإطراء؛ وهو المبالغة في المدح. وقوله: (في المِدحة) وفي رواية (في المَدح)، وفي أخرى (في مدحه) والأول هو المعتمد. وقوله: (أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ) كذا فيه بالشك، وفي حديث أبي بكرة بلفظ (قطعت عنق صاحبك) وهما بمعنى واحد، والمراد بكل منهما: الهلاك؛ لأن من يقطع عنقه يقتل ومن يقطع ظهره يهلك [٧١].

وعن همام ابن الحارث أنَّ رجُلًا جعل يمدحُ عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعمدَ المقدادُ فجثا على ركبتيه -وكان رجلاً ضخماً- فجعل يحثو في وجهه الحصباءَ. فقال له عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما شأنُك؟ فقال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِى وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ) [٧٢].

قال الخطابي: "المداحون؛ هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتنونه، فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن ترغيباً له في أمثاله، وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه، فليس بمداح"(٧٣). وقال القرطبي: تأول العلماء قولهﷺ: (إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِى وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ) أن المراد به المداحون في وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم، حتى يجعلوا ذلك بضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتنونه(٧٤).

وينقل المناوي في معنى هذا الحديث أقوالاً منها: أن ذلك من صيغ المبالغة، إشارة إلى أن الكلام فيمن تكرر منه المدح حتى اتخذه صناعة وبضاعة يتأكل بها الناس، وجازف في الأوصاف وأكثر الكذب، والمعنى: لا تعطوهم على المدح شيئاً، فالحثي كناية عن الحرمان والرد والتخجيل. وقيل أن المراد قولوا لهم بأفواهكم: التراب، والعرب تستعمل ذلك لمن يكرهونه. وقيل أن المراد: أعطوهم ما طلبوا؛ لأن كل ما فوق التراب تراب فشبه الإعطاء بالحثي على سبيل المبالغة في التقليل والاستهانة. وقيل: هو على ظاهره فيرمى في وجوههم التراب؛ وصورة ذلك أن تأخذ كفاً من تراب وترمي به بين يديه وتقول ما عسى أن يكون مقدار من خُلق من هذا؟! ومن أنا؟! وما قدْري؟! توبخ بذلك نفسك ونفسه وتعرّف المادح قدرك وقدره(٧٥). وبوب مسلم للحديث السابق بقوله (النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنه).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلاً ذكر عند النبيﷺ فأثنى عليه رجل خيراً فقال النبيﷺ: (وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ) –مِرَارًا– ثُمَّ قَالَ: (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ؛ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ)(٧٦).

وعن خارجة بن زيد أن أم العلاء –امرأة من الأنصار بايعت رسول الله ﷺ– أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة فطار لهم عثمان بن مظعون رضي الله عنه، فأنزلوه في أبياتهم، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الذي توفي فيه، فلما توفي غسل وكفن في أثوابه ودخل رسول اللهﷺ، فقالت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال رسول الله ﷺ: (وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ؟!). فقلت بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال رسول الله ﷺ:(أَمَّا هُوَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّى لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَاذَا يُفْعَلُ بِي). فقالت: والله لا أزكي بعده أحداً أبداً(٧٧).

المطلب الثالث
الحكمة من النهي عن الغلو في المديح

ذكرنا سابقاً أن المدح في أصله مباح لمشروعيته في الكتاب والسنة، لكنه يصبح محرماً عندما يشوبه الغلو، وذكرنا الأدلة من الكتاب والسنة التي تنهى عن الغلو في المديح. والغلو غالباً لا يكون إلا كذباً[٧٨]، وقد جاء الأمر بالصدق والثناء على الصديقين في كثير من المواضع في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن ذلك ما جاء في محكم التنزيل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩). وقال عَزَّوَجَلَّ في وعد الصادقين: ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة:١١٩).

وحث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمته على الصدق فقال: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ , وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) [٧٩].

ويذكر الغزالي أن في المدح ست آفات أربع في المادح واثنتان في الممدوح؛ فأما المادح

فالأولى: أنه قد يفرط في المدح فينتهي به إلى الكذب.

والثانية: أنه قد يدخله الرياء؛ فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله، فيصير به مرائياً منافقاً.

الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه، ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه.

وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة؛ كقولهم: إنه متقٍ، وورع، وزاهد، وخيّر، وما يجري مجراه. فأما إذا قال: رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج؛ فهذه أمور مستيقنة. ومن ذلك قولهم: إنه عدل رضا؛ فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنه، حيث يروى أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سمع رجلاً يثني على رجل، فقال له: أسافرت معه؟ قال: لا. قال: أخالطته في المبايعة والمعاملة؟ قال: لا. قال: أجاورته؟ قال: لا. فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه.

الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق، قال الحسن: "من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصي الله عَزَّوَجَلَّ في أرضه". والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم، ولا يمدح ليفرح.

قال مطرف: "ما سمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغرت إليّ نفسي". وقال زياد بن أبي مسلم: "ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان؛ ولكن المؤمن يراجع". وقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "المدح هو الذبح". وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور، أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح لذلك شبهه به فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه(٨٠).

قال النووي: "ومدح الإنسان قد يكون في غيبته وهو غير موجود، وفي وجهه، ففي الحالة الأولى إذا مدح وهو غائب عن المجلس فإن هذا المدح لا يمنع منه، إلا إذا دخل المادح في الكذب فإنه يمنع من المدح حتى ولو كان الممدوح غير موجود؛ لأنه يدخل في الكذب، لا لكونه مدحا"(٨١).

ويقول ابن تيمية: "والله تعالى يقول في كتابه: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام:١٠٣).أي لا تُحيط به، فكما أنه يُعلَم ولا يُحاطُ به علماً، فكذلك سبحانه يُرَى ولا يُحاطُ به رؤيةً. فهو سبحانه نفى الإدراك، ولم يَنفِ الرؤية، ونَفْي الإدراك يَدُلُّ على عظمته، وأنه من عظمته لا يُحاطُ به. وأما نفي الرؤية فلا مدحَ فيه، فإن المعدومات لا تُرى، ولا مدحَ لشيء من المعدومات، بل المدحُ إنما يكون بالأمور الثبوتيه لا بالأمور العدمية"(٨٢). فنستطيع القول أن الغلو في المدح هو مدح بأمور عدمية غير موجودة.

ويقول ابن تيمية في موضع آخر:" وأهل الغلو في المدح والذم ينظمون ما لا تتحقق صحته"(٨٣).

ويقول ابن القيم –في حق الغلو في المديح–:" فائدة المبالغة في المدح: سأل تلميذ أستاذه أن يمدحه في رقعة إلى رجل ويبالغ في مدحه بما هو فوق رتبته، فقال: لو فعلت ذلك لكنت عند المكتوب إليه؛ إما مقصراً في الفهم حيث أعطيتك فوق حقك، أو متهماً في الإخبار فأكون كذاباً وكلا الأمرين يضرك لأني شاهدك، وإذا قدح في الشاهد بطل حق المشهود له"(٨٤). وقال في موضع آخر:" فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفاً ورجاءً

والتجاءً واستعانةً، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته"[٨٥].

كما يذكر في زاد المعاد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سمع مديح الشعر وأثاب عليه، وما قيل من المديح فيه فهو جزء يسير جداً من محامده، وأما مدح غيره من الناس فأكثر ما يكون بالكذب؛ فلذلك أمر أن يحثى في وجوه المداحين التراب[٨٦].

ويذكر ابن عثيمين في حالات المدح: أن يمدح الإنسان غيره ويغلو في إطرائه ويصفه بما لا يستحق؛ فهذا محرم وهو كذب وخداع، مثل: أن يذكر رجلاً أميراً أو وزيراً أو ما أشبه ذلك ويطريه ويصفه بما ليس فيه من الصفات الحميدة فهذا محرم وفيه ضرر على الممدوح[٨٧].

والخلاصة: يمكننا القول بأن الحكمة من النهي عن الغلو في المديح هو اتقاء الكذب، والرياء، والغش.

المطلب الرابع
تطبيقات النهي عن الغلو في المديح في العصر الحاضر

أولاً: الغلو في مديح الحكام:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) [٨٨].

وعن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مريض قلنا: أصلحك الله! حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: دعانا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله؛ إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان[٨٩].

وما سبق يستدل به علماء أهل السنة والجماعة على وجوب السمع والطاعة واحترام ولي الأمر وتوقيره، لكن ينبغي أن لا يصل هذا التوقير والاحترام والسمع والطاعة إلى مرحلة الغلو في المديح، فذلك منهي عنه، ومن تطبيقات النهي عن الغلو في مديح الحكام في عصرنا ما يلي:

أولاً: قيام أحد الكتاب بمديح الملك عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: "بقوة إيمانه: عبادةً وتعاملاً، وخدمة للدين، وعناية خاصة بالحرمين، ودفاعاً عن الإسلام، وبيان محاسنه، وتأمين احتياجات المسلمين في كل مكان، وبفروسيته العربية: نجدةً وشهامةً، وإنصافاً

وعزيمة، وإقداماً وجوداً، ووطنيته العالية: شعوراً وعملاً، وتنمية وعطاء، وتضحية وبناء، ومراعاة للأولويات، وتوفير كافة الحاجات: المادية والمعنوية، والصحية والنفسية، والترفيهية.

وبحسه الإنساني: رحمة وعطفاً، ورفداً ومواساة، ومبادرة واستجابة، وبحكمته ووعيه، وبصيرته وفطنته، وفكره الناهض، وبعد نظره، ونبل محتده، وطهر نشأته، ومواهبه النوعية، وقدراته الذاتية، وتجربته الطويلة، وخبرته الغنية، وسهره ومتابعاته: تكونت بهذه الخصال والصفات، وغيرها الذاتية والمكتسبة رؤية المليك المفدى عبد الله ابن عبد العزيز بعمق لكُنه الأشياء إلى أن بلغت تميزاً أعدم الخسران، وفرزاً أدرك ماهية التلاقي الزمني من خلال تفعيل غير المنتهية صلاحيته، مما كان بما هو كائن، فحضرت والحالة هذه: ملامح ما سيكون بقراءة استشرافية واعية مكنته من اختيار كل ما هو فاعل، وبالتالي: استثمره برؤية خلاقة، وإبداع بوطنه دون استثناء..."(٩٠).

وقد رد على الكاتب في الصحيفة نفسها الشيخ صالح الفوزان حيث قال: "اطلعت في جريدة... عدد الاثنين ١٠-٧-١٤٣٤هـ على كلمة بعنوان (الملك عبد الله عمق بالرؤية، ووضوح في المواقف. وإبصار ما كان، وما هو كائن، وما سيكون) بهذه الألفاظ الجريئة من الكاتب..... كان عنوان الكلمة.

والملك –حفظه الله– لا يرضى بمثل هذا الأسلوب، لما فيه من الإطراء الممنوع، لأنه لا يطلع على ما هو كائن وما سيكون في المستقبل إلا الله سبحانه، فهو عالم الغيب والشهادة. والملك –حفظه الله– لا يزيد في قدره هذا المدح والإطراء، وجهوده معلومة لا تخفى على الله ثم على خلقه قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥]، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قالوا له: أنت سيّدنا وابن سيِّدنا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله). ولما قال له قومٌ: يا خيرنا وابن خيرنا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان). والاطلاع على المستقبل خاص بالله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦] ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]. والمطلوب من الكاتب –وفَّقه

الله- ومن كل مسلم أن تكون ألفاظه وكتاباته وفق العقيدة الصحيحة، فالأقوال محسوبة، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]. ولما قال جماعةٌ من الصحابة: (قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث بالله). كل هذا منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سد لباب الغلو المفرط الذي يفضي إلى الشرك، وحماية للعقيدة حتى وإن كان المتكلم لا يقصد ذلك. وفَّق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه"(٩١).

ثانياً: قيام أحد الكتاب بمديح الملك سلمان حفظه الله: حيث جاء في إحدى الصحف الالكترونية هذا العنوان: "مدح الملك سلمان والمساس بجناب التوحيد"، وجَّه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز -حفظه الله- بإيقاف كاتب في صحيفة...، واتخاذ اللازم تجاه الصحيفة، بعد نشر مقال للكاتب، تضمَّن المساس بجناب التوحيد، بعد أن اتجه الكاتب إلى مدح الملك والثناء عليه بأوصاف مغالية، جازف فيها، ومنها بما وصف رب العزة والجلال نفسه بها، وما وصف بها نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. حيث وجَّه خادم الحرمين الشريفين خطابًا لمعالي وزير الثقافة والإعلام، مشيرًا إلى اطلاعه على ما نشرته صحيفة.... في عددها أمس الجمعة بقلم....، وقال الملك سلمان في خطابه: "لفت نظرنا وآثار استغرابنا بعض العبارات الواردة في المقال كالعنوان، وما تضمنه من عبارات مدح لنا وثناء علينا، وأوصاف مغالية، جازف فيها، ومنها ما وصف رب العزة والجلال نفسه بها، وما وصف بها نبيه إبراهيم عليه السلام".

وأكد -حفظه الله- بقوله: "إن هذا أمر كدرنا، ولا نقبله، ولا نرتضيه، ولا نقره، مدركين خطورته، وخطورة التساهل فيه؛ كونه يمس جناب التوحيد. وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي؛ فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ). وحيث قامت هذه البلاد المباركة على هذا الاعتقاد، ولزمت هديه الكريم دينًا ندين الله به، لا نحيد عنه بعون الله، اعتمدوا حالاً إيقاف الكاتب المذكور عن الكتابة، ويجب على الصحف ووسائل الإعلام كافة التنبه، وعدم التجاوز بنشر مثل هذه الأمور، ومحاسبة كل متجاوز ومتساهل، واتخاذ ما يلزم بحقِّ الكاتب والصحيفة وفق ما تقضي به الأنظمة والتعليمات"(٩٢).

ثانياً: الغلو في مديح العلماء:

قال عَزَّوَجَلَّ ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر:٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ ژ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌژ [المجادلة:١١].

وعن قيس بن كثير قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق، فقال: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟! فقال: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ. قال: لا. قال: أما قدمت لتجارة. قال: لا. قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث. قال: فإني سمعت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ. إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا؛ إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[٩٣].

والنصوص الشرعية في بيان فضل العلم والعلماء كثيرة، لكن هذا الفضل والمرتبة أيضاً لا تمنح الإذن بالغلو في مديح العلماء كما هو معتقد وديانة عند بعض الطوائف المبتدعة. ومن أمثلة الغلو في مديح العلماء في العصر الحاضر، ما يلي:

أولاً: الغلو في مديح ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ:

في إحدى الندوات العلمية قام المذيع بتقديم مقدمة عن الشيخ فقال:" يسعدنا في هذه الليلة أن نلتقي رائداً كبيراً من رواد العلم، وصوت قوي يدّوي في كل آفاق العالم الإسلامي؛ إن هذا الرائد الكبير والصوت القوي هو الإمام الجليل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز صوت الحق والإيمان والإسلام، وأروع وأعظم من أنجبت الجزيرة العربية، وأنبغ من حمِل راية التوحيد حتى الآن، رحابة صدر وطهارة قلب ونقاء نفس وإشراقه روح وصفاء وجدان، فما أروعه من نفس طاهرة مطمئنة بالإيمان وما أعظمه من قلب مشرق عامر باليقين والحب والخير، وما أنبله من عالم فاضل وشيخ جليل وباحث مقتدر ومجدد كبير ومصلح عبقري ينشر الدعوة الإسلامية.. ".

فأنكر الشيخ هذا المديح لما حضر إلى مقعد الندوة وقال:" بسم الله الرحمن

الرحيم، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه؛ نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين ثم أعتب على أخي الشيخ عبد الكريم هذا المديح الذي ذكر، وأنا والله دون ما قال وأقل مما قال وجهودي كلها في الحقيقة متواضعة وقليلة وأسأل الله أن يعفو عني وعنكم وعن كل الدعاة إليه وعن كل المسلمين، والله جل وعلا سوف يسأله عما قال وأسأل الله أن يعفو عنا وعنه، نسأل الله أن يعفو عنا جميعاً، وأنا والله أشهدكم أني لا أحب أن أمدح وأسأل الله أن يعفو عني وعنكم وعن كل مسلم ولا شك أن الواجب علينا عظيم، الواجب على أهل العلم وعلى طلبة العلم عظيم، ومهما فعلت أو فعل غيري من أهل العلم هو في الحقيقة قليل بالنسبة إلى ما يجب علينا، وهو في جنب الله وجنب حقه قليل أيضاً، وفي جنب حق المسلمين قليل أيضاً فنسأل الله أن يعفو عنا جميعاً وعن الأخ عبد الكريم عما قال وأن يسامحنا جميعاً، وأن يرزقنا وإياكم الاستقامة على دينه والثبات عليه والعافية من مضلات الفتن إنه سميع مجيب"(٩٤).

ثانياً: الغلو في مديح الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في أحد المحافل التي كانت على شرف الشيخ، استأذن أحد الحاضرين الشيخ بأن يلقي قصيدة فأذن الشيخ له؛ فقال فيها:

يا أمتي إن هذا الليل يعقبهُ... فجرُ وأنواره في الأرض تنتشرُ
والخير مرتقب والفتح منتظرُ... والحقُ رغم جهود الشر منتصرُ
وبصحوةٍ بارك الباري مسيرتها... نقية ما بها شوب ولا كدرُ
ما دام فينا ابن صالح شيخ... صحوتنا بمثله يرجى التأييد والظفرُ

عندئذ قاطعه الشيخ قائلاً: أنا لا أوافق على هذا !! فقال أحد الحاضرين: نحن نوافق. فقال: أنا لا أوافق؛ لأني لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص كل شخص يفنى فإذا ربطنا الحق بالأشخاص معناه أن الإنسان إذا مات قد ييئس الناس من هذا. فأقول: أرجو أن يتم تبديل البيت بأن يكون:

ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله...

لكن الملقي لم يستطيع التكيف مع هذا التغيير، وأصر على ذكر الشيخ في ثنايا قصيدته، فأوقفه الشيخ نهائياً، ثم قال: أنا أنصحكم من الآن وبعد الآن ألا تجعلوا الحق مربوطاً بالرجال. الرجال أولاً يضلون حتى ابن مسعود يقول: من كان مستناً

فليستن بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. الرجال إذا جعلتم الحق مربوطاً بهم يمكن الإنسان يغتر بنفسه –نعوذ بالله من ذلك– ويسلك طرقاً غير صحيحة ولذلك أنا أنصحكم الآن ألا تجعلوا الحق مقيداً بالرجال(٩٥).

والخلاصة: أن النهي عن الغلو في المديح قائم ومنكرٌ على كل من قام به –ولله الحمد والمنة– سواء من قبل ولاة الأمر، أو من قبل علمائنا الفضلاء رحمة الله على الجميع.

وبذلك ينتهي الباحث من هذا البحث وينتقل إلى خاتمته.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله على نعمه وعطاياه الظاهرة والباطنة، الحمد لله رب العالمين، وفي نهاية هذا البحث أورد بإيجاز ما توصلت إليه من نتائج فأقول: أن من الألفاظ ذات الصلة بالمدح: الإطراء، والتمجيد، والحمد، والشكر.

ومن النتائج: أن الأصل في المدح هو الإباحة وبعض العلماء يرى استحبابه لورود العديد من النصوص الشرعية في ذلك، ومنها قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩). وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأشج عبد القيس: (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ) (٩٦)

وقد يمنع من المدح وينهى عنه ولو كان حقاً وصدقاً؛ لأسباب ومنها: دخول العجب والغرور على نفس الممدوح لا سيما إذا كان معروفاً بهذا السلوك والطبع، يقول ابن العربي: "مدح النفس إنما نهي عنه لما يدخل عليها من العجب بها، والتكثر على الخلق من أجلها، فاقتضى ذلك الاختصاص بمن يلحقه التغيّر". والغلو في المديح لا يجوز ولا يشرع إطلاقاً في الإسلام لأنه داخل في عموم الكذب ومنافاة الصدق والعدل، والله عَزَّوَجَلَّ يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩).

ومن **نتائج هذا البحث:**

أن ولاة أمر هذا البلد –ولله الحمد– قد قطعوا الطريق على الغالي في ذكر الممادح؛ وقد ذكرنا نموذجاً للملك سلمان، صريح وواضح في النهي عن الغلو في مدحه والتأكيد على أن هذا الفعل مشين ومنكر ولا بد من أن يعاقب كل من يرتكبه.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث:

([1]) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان. باب: بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص.

([2]) أخرجه مسلم، كتاب: التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.

([3]) مدراج السالكين بن إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ج٢/ص٦، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

([4]) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص١٤٩، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

([5]) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنه.

([6]) انظر: المدح في السنة النبوية – دراسة موضوعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، ساجدة أحمد حسين، ص(ي)، ٢٠٠٧م.

([7]) انظر: المدح والثناء– دراسة قرآنية موضوعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة، أحمد طلال السموني، ص١٩٢، ٢٠١٢م.

([8]) انظر: أسلوب المدح والذم في الأحاديث النبوية الشريفة (صحيح البخاري أنموذجاً)– دراسة نحوية دلالية تواصلية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا في جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن، عبد الله بيك بن الشيخ عيسى السلامة، ص(ز)، ٢٠١٦م.

([9]) انظر: أساليب المدح والذم في القرآن الكريم، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق (جامعة الأزهر)، فؤاد أحمد الحطاب، ص٨٥، العدد:٢، ١٩٨٣م.

([10]) انظر: المدح والذم في القرآن الكريم، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عوض الجهادي، ص١٠٥، العدد:١١، ١٩٨١م.

([11]) انظر: تأكيد المدح والذم بما يشبه ضدهما في القرآن الكريم–دراسة تحليلية بلاغية، مجلة مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية في العراق، حسين علي العبيدي،ص٤٤١، المجلد:٣، العدد:١٠، ٢٠١١م.

([12]) انظر: مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي، ص ٢٨٤، مكتبة لبنان (بيروت)، بدون رقم الطبعة، ١٩٨٦م.

([13]) انظر: شرح مختصر الروضة، سليمان الطوفي الصرصري، تحقيق: عبد الله التركي، ج٢/ص٤٢٩، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

([14]) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، ج٦/ص٢٤٤٨، دار العلم للملايين (بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ..

([15]) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، ج١/ص٢٩٣، مكتبة الرشد (الرياض)، بدون رقم الطبعة، بدون تاريخ الطباعة.

([16]) انظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣٠٨/٥

دار الفكر (القاهرة)، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٩هـ.

([17]) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٢/ص٥٨٩، دار صادر (بيروت)، الطبعة الأولى، بدون تاريخ الطباعة.

([18]) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب، عناية: محمد العرقسوسي، ص٢٤٠، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.

([19]) انظر: الأذكار من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، ص٢١٦، دار المعرفة، الطبعة السادسة، ١٩٩٨م.

([20]) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، ج٤/ص١٤٧٢، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

([21]) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب، ص٤٦.

([22]) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها.

([23]) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١٥/ص٦.

([24]) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص٣٧ .

([25]) انظر: التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأنباري، ص٩٩، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

([26]) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب، ص٣١٨.

([27]) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٣/ص١٥٥. الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر،ج٢/ص٣٧٨، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

([28]) انظر: التعريفات، علي الجرجاني، ص١٢٥. ويرى ابن عثيمين أن تكرار الحمد هو الثناء مستدلاً بحديث (قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: أَثْنَى عَلَي عَبْدِى) أخرجه مسلم. انظر: شرح رياض الصالحين، محمد العثيمين، ج٢/ص٩، مدار الوطن (الرياض)، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

([29]) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص١٤٥.

([30]) انظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ج٣/ص١٧.

([31]) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ابن تيمية، عناية: عادل سعد، ج٥/ص١٣٦٣، مكتبة مصطفى الباز (مكة المكرمة)، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

([32]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج١٦/ص١٤٩، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

([33]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ج٩/ص٢١٧، دار عالم الكتب (الرياض)، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

([34]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج٢٠/ص١٠٢.

([35]) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، كتاب: الأذكار، باب: دعاء الأخ بظهر الغيب، قال الألباني: صحيح.

([36]) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف، قال الألباني: صحيح.

([37]) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ج٤/ص٤٢٧، دار طيبة للنشر والتوزيع (الرياض)، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

([38]) انظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ج٨/ص٥٧١، دار الفكر، بدون رقم الطبعة، ١٤١٥هـ.

([39]) انظر: الأذكار، الإمام النووي، مراجعة: محمد طباع، ص٣١٦، مؤسسة الأميرة العنود (الرياض)، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ الطباعة.

([40]) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: من أثنى عليه أخيه بما يعلم.

([41]) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: الخوخة والممر في المسجد.

([42]) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **((لوكنت متخذاً خليلاً))**.

([43]) أخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر.

([44]) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان.

([45]) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه.

([46]) أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، عناية: محمد عطا، ج١/ص٩، دار الكتب العلمية (بيروت)، بدون رقم الطبعة، بدون تاريخ الطباعة.

([47]) انظر: الأذكار، الإمام النووي، مراجعة: محمد طباع، ص٣١٤.

([48]) لما رواه أبو بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رجلاً ذكر عند النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فأثنى عليه رجل خيراً فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (وَيۡلَكَ قَطَعۡتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعۡتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ) -مِرَارًا- ثُمَّ قَالَ: (مَنۡ كَانَ مِنۡكُمۡ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ؛ فَلۡيَقُلۡ: أَحۡسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحۡسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنۡ كَانَ يَعۡلَمُ ذَلِكَ مِنۡهُ).

([49]) فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ج١٠/ص٤٧٨، دار المعرفة (بيروت)، بدون رقم الطبعة، ١٣٧٩هـ.

([50]) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج٦/ص٥٦٥..

([51]) أخرجه مسلم، كتاب: الآداب، باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن.

([52]) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٤/ص٤٦٣.

([53]) انظر: معالم التنزيل، الحسين البغوي، ج٢/ص١٥٠، دار طيبة، بدون رقم الطبعة، بدون تاريخ الطباعة.

([54]) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

([55]) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢/ص١٨١.

([56]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام ابن جرير الطبري، ج٨/ص٤٥٢.

([57]) انظر: فتح القدير، الإمام الشوكاني، عناية: يوسف الغوش، ج٥/ص٣٠٦، دار المعرفة، بيروت

الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ.

([58]) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢/ص٤٧٧ .

([59]) انظر: فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج٤/ص٢٤٦ .

([60]) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: المتشبع بما لم ينل.

([61]) انظر: معالم السنن، الإمام الخطابي، ج٤/ص١٣٤، المطبعة العلمية (حلب)، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.

([62]) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، تحقيق: ياسر ابراهيم، ج٧/ص٣٤٦، مكتبة الرشد (الرياض)، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ

([63]) انظر: فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ج٩/ ص٣١٨.

([64]) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري الإمام القرطبي،تحقيق: محيي الدين مستو وآخرون، ج٢/ص٧٨، دار الإمام ابن كثير (دمشق)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

([65]) انظر: المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، تحقيق: علي البواب، ج١/ص٢٥٣، دار الوطن (الرياض)، بدون رقم الطبعة، ١٤١٨هـ.

([66]) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها.

([67]) انظر: مختصر الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، الإمام الألباني، ص١٧٥، المكتبة الإسلامية (عمان)، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

([68]) أخرجه ابن حبان، كتاب: التاريخ، باب: بدء الخلق. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

([69]) انظر: فتاوى نور على الدرب، الشريط (١٠)، مرفوع على موقع الشيخ الإلكتروني على الرابط التالي: binothaimeen.net

([70]) أخرجه البخاري، كتاب: الشهادات، باب: ما يكره من الإطناب والمدح.

([71]) انظر: فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ج١٠/ص٤٧٧.

([72]) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنه.

([73]) معالم السنن، الإمام الخطابي، ج٤/ص١١١.

([74]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج٥/ص٢٤٧.

([75]) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ج١/ص٢٣٧، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

([76]) أخرجه البخاري، كتاب: الشهادات، باب: إذا زكى رجل رجلا كفاه.

([77]) أخرجه البخاري، كتاب: التعبير، باب: رؤيا النساء.

([78]) ويخرج من ذلك ما كان من قبيل المجاز مما لا يعارض أصل الواقع، حيث ذكر الغزالي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر الصحابي الجليل حسان بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهجاء الكفار والتوسع في المدح (اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ)،متفق عليه، لأنه وإن كان كذباً فإنه لا يلتحق

في التحريم بالكذب؛ كقول الشاعر:

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فإن لم يكن صاحبه سخياً كان كاذباً، وإن كان سخياً فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته. انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٣/ص١٢٦، دار المعرفة (بيروت)، بدون رقم الطبعة، بدون تاريخ الطباعة.

([79]) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

([80]) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٣/ص١٥٩.

([81]) الأذكار، الإمام النووي، مراجعة: محمد طباع، ص٣١٣.

([82]) جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد شمس، ج٣/ص٢٠٧، دار عالم الفوائد (مكة المكرمة)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

([83]) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ابن تيمية، ج٥/ص١٢٦٠.

([84]) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا وآخرون، ج٣/ص٩٦، مكتبة نزار الباز (مكة المكرمة)، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

([85]) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، ص١٣٨، دار المعرفة (بيروت)، بدون رقم الطبعة، ١٤١٨هـ.

([86]) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج١/ص١٦٤، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

([87]) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ج٦/ص٥٦٥.

([88]) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن.

([89]) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ: سترون بعدي أموراً تنكرونها.

([90]) انظر: مقالة الكاتب على موقع الصحيفة من خلال الرابط التالي: http://cutt.us/lzXp٨

([91]) انظر:رد الشيخ صالح الفوزان على موقع الصحيفة من خلال الرابط التالي:
http://cutt.us/qNoik

([92]) انظر: الموقع الإلكتروني لصحيفة سبق من خلال الرابط التالي: http://cutt.us/DLud

([93]) أخرجه الترمذي، كتاب: العلم، باب: فضل الفقه على العبادة. قال الألباني: صحيح.

([94]) انظر: التسجيل المرئي للندوة على موقع اليوتيوب من خلال الرابط التالي
: http://cutt.us/PA481

([95]) انظر: التسجيل المرئي للندوة على موقع اليوتيوب من خلال الرابط التالي:
http://cutt.us/PA481

([96]) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه.

فهرس المراجع:

١. مدراج السالكين بن إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

٢. الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
٣. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان (بيروت)، بدون رقم الطبعة، ١٩٨٦م.
٤. شرح مختصر الروضة، سليمان الطوفي الصرصري، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين (بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٦. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، مكتبة الرشد (الرياض)، بدون رقم الطبعة، بدون تاريخ الطباعة.
٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر (القاهرة)، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٩هـ.
٨. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر (بيروت)، الطبعة الأولى، بدون تاريخ الطباعة.
٩. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب، عناية: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.
١٠. الأذكار من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، دار المعرفة، الطبعة السادسة، ١٩٩٨م.
١١. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
١٢. التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
١٣. الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٤. شرح رياض الصالحين، محمد العثيمين، مدار الوطن (الرياض)، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
١٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ابن تيمية، عناية: عادل سعد، مكتبة مصطفى الباز (مكة المكرمة)، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
١٦. جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٧. الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب (الرياض)، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
١٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (الرياض)، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١٩. أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، عناية: محمد عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، بدون رقم الطبعة، بدون تاريخ الطباعة.
٢٠. فتح الباري، الحافظ ابن حجر، دار المعرفة (بيروت)، بدون رقم الطبعة، ١٣٧٩هـ.
٢١. معالم التنزيل، الحسين البغوي، دار طيبة، بدون رقم الطبعة، بدون تاريخ الطباعة.

٢٢. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بدون رقم الطبعة، ١٤١٥هـ.
٢٣. الأذكار، الإمام النووي، مراجعة: محمد طباع، مؤسسة الأميرة العنود (الرياض)، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ الطباعة.
٢٤. فتح القدير، الإمام الشوكاني، عناية: يوسف الغوش، دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ.
٢٥. معالم السنن، الإمام الخطابي، المطبعة العلمية (حلب)، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.
٢٦. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، تحقيق: ياسر ابراهيم، مكتبة الرشد (الرياض)، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ
٢٧. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري الإمام القرطبي،تحقيق: محيي الدين مستو وآخرون، دار الإمام ابن كثير (دمشق)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٨. المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، تحقيق: علي البواب، دار الوطن (الرياض)، بدون رقم الطبعة، ١٤١٨هـ.
٢٩. مختصر الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، الإمام الألباني، المكتبة الإسلامية (عمان)، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٣٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٣١. إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة (بيروت)، بدون رقم الطبعة، بدون تاريخ الطباعة.
٣٢. جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد شمس، دار عالم الفوائد (مكة المكرمة)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٣. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا وآخرون، مكتبة نزار الباز (مكة المكرمة)، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٣٤. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة (بيروت)، بدون رقم الطبعة، ١٤١٨هـ.
٣٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

البحوث العلمية:

٣٦. المدح في السنة النبوية – دراسة موضوعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، ساجدة أحمد حسين، ٢٠٠٧م.
٣٧. المدح والثناء– دراسة قرآنية موضوعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة، أحمد طلال السموني، ٢٠١٢م.
٣٨. أسلوب المدح والذم في الأحاديث النبوية الشريفة (صحيح البخاري أنموذجاً)– دراسة نحوية

دلالية تواصلية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا في جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن، عبد الله بيك بن الشيخ عيسى السلامة، ٢٠١٦م.
٣٩. أساليب المدح والذم في القرآن الكريم، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق (جامعة الأزهر)، فؤاد أحمد الحطاب، العدد:٢، ١٩٨٣م.
٤٠. المدح والذم في القرآن الكريم، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عوض الجهادي، العدد:١١، ١٩٨١م.
٤١. تأكيد المدح والذم بما يشبه ضدهما في القرآن الكريم–دراسة تحليلية بلاغية، مجلة مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية في العراق، حسين علي العبيدي، المجلد:٣، العدد:١٠، ٢٠١١م.

المصادر الالكترونية:

م	الموضوع	عنوان الموقع
٤٢.	فتاوى نور على الدرب	.binothaimeen.net
٤٣.	الغلو في الملك عبد الله	http://cutt.us/٨IzXp
٤٤.	مقالة الشيخ صالح الفوزان	http://cutt.us/qNoik
٤٥.	رد الملك سلمان	http://cutt.us/DLud
٤٦.	الغلو في مديح ابن باز	http://cutt.us/PA481
٤٧.	الغلو في مديح ابن عثيمين	http://cutt.us/dNJiJ